(٢)

شهادة عبد الاله الاثير قائد القاعدة المتقدمة الاولى بين الكرامة والنهر

كنا نركز دائما على مبدأ استراتيجي في حرب العصابات هو مبدأ التراجع عند تقدم العدو القوي. اذا لماذا لم نتراجع في الكرامة ، مع سبق ورود معلومات عن قرب قيام العدو بهجوم مركز على المنطقة او عملية اجتلال لها . هنا لا بد من العودة الى ما قبل المعركة بعدة اشهر ، وتقييم كافة الاوضاع في تلك الفترة .

لقد ركزت الثورة على منطقة الكرامة للاسباب التالية : ١ ــ وجود تجمع فلسطيني كبير في تلك المنطقة . ٢ ــ قرب المنطقة من حدود الارض المحتلة . ٣ ــ وضع المنطقة الاستراتيجي لوجود سلسلة جبال محاذية للكرامة . ٤ ــ سهولة العمل في الداخل انطلاقا منها .

واضرب مثالا لذلك ، ففي شهر كانون الاول عام ١٩٦٧ كان عدد الدوريات العاملة من المنطقة للداخل دوريتين او ثلاثا ، بينما اصبح العدد في مطلع عام ٦٨ اكثر من عشر دوريات يوميا بدأت تجهد العدو .

لا بد من الوقوف امام موضوع النظام الاردني ومحاولاته المتكررة لضرب الثورة . لقد حاول النظام اكثر من مرة اخراج الثورة من الكرامة ، ومنع الثوار من دخول الارض المحتلة ، كان افراد الجيش والضباط الصغار يؤازرون الفدائيين بافتعال اشتباكات مع العدو في مناطق معينة ، يصرفون بها انتباهه عن دورياتنا ، التي تدخل من مناطق اخرى . وقد فشلت السلطة الاردنية في الضغط على عناصر الجيش الشريفة بعدم مساعدتنا ، فعمدت الى المجابهة العسكرية، واذكر في شهر شباط ١٩٦٨ حضر بعض الضباط الاردنيين، وابلغونا أن علينا مغادرة منطقة الكرامة والا فانهم سيضربوننا بقوة ، وحاولنا صرفهم عن عزمهم سياسيا ، الا انهم كانوا صلبين في موقفهم ، فبدأنا الاستعداد للمواجهة المحتملة . بعد يومين وصلتنا معلومات مفادها ان الجيش الاردني وقوات البادية، ستقوم باحتلال مراكزنا بالقوة ، وان عددا كبيرا من الدبابات وسيارات ناقلة للمشاة مجهزة بالمدافع متجهة لضربنا . لم نكن وقتها قادرين على صدهم عسكريا ، لا بد من الاعتراف بذلك ، لكننا اتممنا استعداداتنا للمواجهة ، باسلحة خفيفة وقوات قليلة . بدأت القوات الاردنية تحركها في السادسة صباحا، فلما علم الشعب بالامر ، خرجت جموعه في مظاهرة هائلة ، تضم اكثر من ١٥ الف نسمة يحملون العصي وبنادق الصيد وغيرها ، متوجهين نحو اول مركز تجمع للجيش ، وهو مخفر الكرامة. توجهت مع اثنين من الاخوة للمخفر ، قبل وصول التظاهرة ، حيث قابلت رائدا اردنيا وطلبت منه سحب قواته ، بعد ان استحلفته بربه وبعروبته ، فكان رده : سترى أننا سنجعل من شوارع الكرامة انهارا من الدم . اثناء الحوار ، بدأ صوت المتظاهرين القادمين يتضح ، فأعطيته انذارا لمدة خمس دقائق للخروج من المخفر والا فاننا سنبدأ المعركة ، عندها سمعته يأمر جنوده : انسحاب بسرعة .. انسحاب . بعد خروجهم من المخفر ، تلقيت برقية لاسلكية من القاعدة المتقدمة ــ قاعدة أبو شريف ــ تفيد ان سبع آليات وسيارات مطاردة تتقدم بسرعة نحو المركز على بعد كيلو متر واحد منا . للوصول لهم ، شارك أحد سكان الكرامة وهو يحمل بندقيته على كتفه ، ويقود تراكتورا زراعيا بايصالي . كان المناضلون معبأين للقتال ، كل منهم يحمل قنبلة ورشاشا وغيرها لمواجهة الدروع الثقيلة . على الفور ارسلت سائق التراكتور عائدا كي يوجه التظاهرة نحو المركز ، كي تصد الجماهير ايضا هذا الهجوم .

كنت أتساءل ماذا نفعل ؟ هل ندافع عن انفسنا أم ماذا ؟ لماذا لا نبدأ نحن باطلاق النار . كان ابو عمار يوجه البرقيات المتوالية ، يطالبنا ألا نبدأ باطلاق النار . وفعلا توجهت التظاهرة نحو المركز، وتراجعت الاليات ، وهكذا استطعنا بعاملي الصمود وقوة الجماهير المؤمنة بالثورة ، افشال هذه المحاولة دون اسالة نقطة دم . لقد انتصرت ارادة الجماهير على ارادة الحكم والمخابرات للمرة الاولى .

بعد فشلهم في شباط ، ومع ازدياد الدوريات وارتفاع فعاليتها ، بدأت المخططات الاسرائيلية الاردنية المشتركة محاولات اخرى . كان الهدف الذي رموه من هذه المحاولات هو ابعاد الجماهير عن الساحة ، ففي تقديرهم ان ترحيل كامل سكان الكرامة من شأنه اضعاف المقاومة وتسهيل القضاء